الأمن والإيمان

د . محمد عبدالله ولد محمدن*

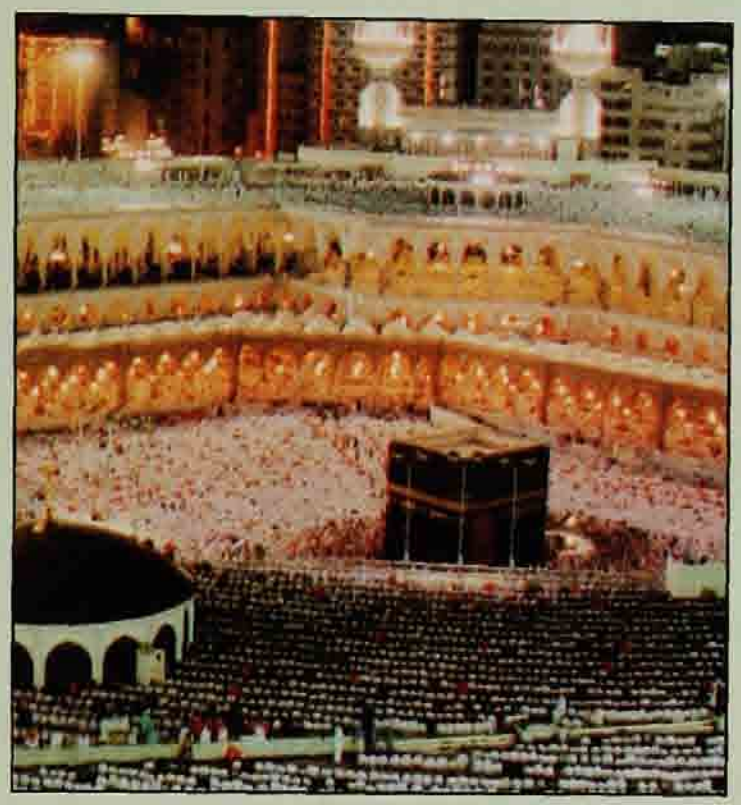

إتجاه التشريع الإسلامي نحو إقامة مجتمع آمن

يهدف الإسلام في تشريعاته إلى إقامة المجتمع الآمن الفاضل الذي تسوده المحبة والطمأنينة، كما يسعى إلى محاربة كل ما يؤدي إلى ضياع الفرد وهدم المجتمعات وعلى رأس ذلك محاربته لانتشار الجريمة وبواعث الإجرام ابتداء من الأسرة وامتداداً لكل أفراد المجتمع.

ونجد أن الاسلام ـ من أجل تحقيق هذا الهدف العظيم ـ شرع أموراً يؤدي تطبيقها إلى قيام مجتمع آمن فاضل، ومنع أموراً أخرى يؤدي الوقوع فيها إلى هدم المجتمعات وشيوع الجرائم والانحرافات.

ومما شرعه الإسلام وأمر به في هذا السبيل:

أولا : البر والإحسان إلى الأقرباء وغيرهم من أفراد المجتمع: وقد جمعت آية واحدة من القرآن الكريم ثمانية أصناف من شرائح المجتمع يؤدي تحقيق مبدأ البر والإحسان فيما بينها إلى الألفة والمحبة والطمأنينة والسعادة وتأكيداً للأمر بتحقيق هذا المبدأ وتنبيهاً على أهميته جاء الأمر به في الآية الكريمة مقترناً بالأمر بتوحيد الله وعبادته وحده ـ قال تعالى :﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدن إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لايحب من كان مختالا فخوراً﴾[1] فقد شملت هذه الآية معظم شرائح المجتمع وأمرت تلك الشرائحَ أمراً صريحاً بأن يحسن بعضها إلى بعض لكي يحصل التآلف والترابط والتكافل بين الأفراد ثم بين المجتمعات، ولكي يقضى على التباغض والكراهية ونحوهما مما يؤدي إلى الانحراف ويبعث على اقتراف الجريمة، حيث جاءت الآية متضمنة :

ـ الأمر ببر الوالدين، وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم

أهميته وبين فضله في عدة مواطن منها قوله: «رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل من يارسول الله؟ قال من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة».[٢]

- الأمر بالإحسان إلى القريب سواء أكان من قبل الأب أو من قبل الأم وذلك بوصله وعدم قطيعته، كما رغب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك بقوله: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»[٣].

- الأمر بالإحسان إلى اليتامى وقد وعد الرسول صلى الله عليه وسلم مطبقي هذا المبدأ بالجنة بقوله : «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى»[٤].

- الأمر بالإحسان إلى المساكين وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم المحسن إليهم بأنه كالمجاهد فقال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله»[٥]

- الأمر بالإحسان إلى الجار، وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالإحسان إليه ونهى عن إيذائه فقال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله؟ قال من لا يأمن جاره بوائقه».[٦]

- الأمر بالإحسان إلى الصاحب وقد حبب النبي صلى الله عليه وسلم الإحسان إليه فقال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عن الله خيرهم لجاره».[٧]

- الأمر بالإحسان إلى المسافر الذي انقطعت به السبل أو الضيف الذي يحل عندك، وحث المصطفى صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله: »من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قيل وما جائزته يارسول الله؟ قال: يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه».[٨]

- الأمر بالإحسان إلى من جعله الله تحت قبضة اليد وذلك بعدم إيذائه وعدم تكليفه من العمل مالا يطيق، وقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحث عليه بقوله: »إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولاتكلفوهم مايغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم».[٩]

فإذا تحقق مبدأ الإحسان بين هذه الأصناف التي تشكل نسبة لايستهان بها من أصناف المجتمع، بل إنه قد لايخرج من هذا التقسيم للمجتمع الواحد إلا النزر اليسير، كما أن عموم الأمر بهذا الإحسان شامل لمختلف المجتمعات فيما بينها، فإذا تحققت الألفة والمحبة بين الجميع لم يبق للجريمة ولا للانحراف سبيل للتسلل أو النفوذ داخل المجتمعات.

ثانيا : تحقيق مبدأ العدل والأخوة والمساواة بين الناس:

لقد أقام الإسلام نظامه الاجتماعي على قاعدة العدل والأخوة والمساواة، فجاءت آيات وأحاديث كثيرة تقرر هذا المبدأ وتحث المجتمع على تحقيقه. ومن تلك الآيات: قوله تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾.[١٠]

وقوله تعالى:﴿إنما المؤمنون أخوة﴾[١١]، وقوله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير﴾.[١٢]

١ - ومن الأحاديث :»المسلم أخو المسلم»[١٣]، «لافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»[١٤]، «انتم بنو آدم وآدم من تراب»[١٥].

فإذا تحقق هذا المبدأ أيضاً ساد الأمن وعمت الألفة والمحبة ولم يبق للجريمة ولا للانحراف سبيل إلى الوصول إلى المجتمع.

ومما منعه الشرع وسد الباب دونه في هذا السبيل أيضا:

- إشاعة الفاحشة بين المؤمنين لما في ذلك من تمزيق الصلات وانتشار الضغينة والتقاطع بين أفراد المجتمع، فاعتبر الشرع هذا الفعل جريمة بشعة يستحق مرتكبها العذاب الدنيوي والأخروي قال تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾[١٦].

٢ - المهيجات الجنسية وذلك لما يترتب عليها من الوقوع في جريمة الزنا وما شابهها من جرائم الشذوذ الجنسية الأخرى، لأن استباحة المهيجات الجنسية تدفع بأصحاب القلوب المريضة إلى الجري وراء الشهوة العمياء مستخدمين كل الوسائل لنيل هدفهم غير مبالين بقانون ولا أخلاق - ومن أمثلة تلك المهيجات التي حرمها الشرع: الغناء والمعازف، الاختلاط بين الرجال والنساء، النظر الباعث إلى الشهوة، وذلك أن النظر هو الباب الأكبر إلى القلب وهو المقدمة للوقوع في المخاطر كما قال الشاعر:

ألم تر أن العين للقلب رائد
فما تألف العينان فالقلب آلف

٣ - المواد المغيبة للعقل أو المؤثرة على الإدراك سواء أكانت خمراً أم غيرها من المخدرات الأخرى، لأن أدلة الشرع لم تفرق بين ذلك، كما أن تأثير الجميع على دين الإنسان وعقله ونفسه وعرضه وماله أمر ثابت عن طريق التجارب والبحوث والدراسات، وهذه الضروريات الخمس قد اتفقت الشرائع السماوية على حفظها، فذهاب العقل واستيلاء الشهوة على الإنسان ينتج عنه أضرار يصعب حصرها، سواء على الفرد أو على المجتمع ومن تلك الأضرار:

ارتكاب الجرائم الأخرى بصفة عامة، تفشي السلب والسرقة بصفة خاصة، الأضرار الجسيمة والنفسية التي لا حصر لها، انعدام القياس الصحيح لدى مرتكبي هذا النوع من الجرائم بحيث يصبح الحق عندهم باطلاً ، والباطل حقاً.

٤ - مسببات العداوة والبغضاء والحقد :

كما نجد أن الإسلام حرم في سبيل سد منافذ الجريمة أو التضييق منها جميع ما يسبب العداوة والبغضاء والحقد بين أفراد المجتمع سواء أكان فعلاً أو قولاً - ومن ذلك :

- تحريمه للغيبة : والمراد بها ذكر الإنسان في غيبته بما يكرهه لو بلغه - وكان النهي عنها في القرآن مقترناً بما ينفر منها بتشبيهها بأكل اللحم من الإنسان الميت ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾[١٧].

ـ تحريمه للنميمة : وهي الوشاية ـ والمراد بها نقل حال الشخص لغيره على سبيل الإفساد. وتوعده لمرتكبها بتحريم دخول الجنة عليه في قوله صلى الله عليه وسلم:»لايدخل الجنة قتات»[١٨] والقتات هو النمام.

ـ تحريمه للظن : والمراد به هنا التهمة التي عليها دليل ولا أمارة صحيحة وهذا النوع من الظن هو المنهي عنه بقوله تعالى :﴿يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾.[١٩]

ـ تحريمه للهجران : والمراد به ترك الشخص مكالمة شخص آخر اذا تلاقيا وقد جاء النهي عنه في قوله صلى الله عليه وسلم:» لايحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»[٢٠].

ـ تحريمه لقطيعة الرحم : والمراد بالرحم الأقارب الذين بينهم وبين الإنسان نسب ـ وجاء الوعيد الشديد على هذا الفعل في قوله صلى الله عليه وسلم:»لايدخل الجنة قاطع»[٢١] أي قاطع رحم.

ـ تحريمه للحسد : وهو تَمنّي زوال النعمة عمن يستحقها، وقد جاء النهي عنه في قوله صلى الله عليه وسلم :»ولا تحاسدوا ولاتباغضوا ولا تدابروا»[٢٢].

وهكذا كان الإسلام هادفاً في تشريعاته كلها إلى تحقيق المصلحة ودفع المفسدة، فلم يشرع خالق العباد لعباده إلا ما يصلحهم في دينهم أو دنياهم ولم يمنع عليهم شيئاً إلا وفيه مفسدة لهم إما في عاجلهم أو في آجلهم، وما أشير إليه هنا مما شرعه الإسلام أو منعه في سبيل إقامة المجتمع الآمن الفاضل إنما هو على سبيل المثال لا الحصر، إلا أن هذه هي أبرز التدابير الوقائية التي تحصن المجتمع ضد كثير من الآفات، وتعتبر الآثار المترتبة على تطبيقها حصناً منيعاً يحول دون وقوع الجريمة والإنحراف.

(١) سورة النساء، آية :٣٦.
(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة.
(٣) رواه البخاري ، كتاب الأدب.
(٤) رواه مسلم، كتاب الزهد
(٥) رواه مسلم.
(٦)رواه البخاري، كتاب الأدب.
(٧) سنن الترمذي كتاب البر والصلة.
(٨) رواه البخاري ومسلم، كتاب الأدب.
(٩) رواه البخاري، كتاب الأدب.
(١٠) سورة النحل، آية :٩٠.
(١١) سورة الحجرات، آية : ١٠.
(١٢) سورة الحجرات، آية : ١٣.
(١٣) رواه مسلم.
(١٤) رواه الامام احمد.
(١٥) رواه أبو داود، كتاب الأدب.
(١٦) سورة النور، آية : ١٩.
(١٧) سورة الحجرات، آية : ١٢.
(١٨) رواه البخاري.
(١٩) سورة الحجرات، آية : ١٢.
(٢٠) رواه البخاري.
(٢١) رواه البخاري.
(٢٢) رواه مسلم.□

* عضو الهيئة العلمية بمعهد الدراسات العليا ورئيس قسم النشر بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية

يوم الجمعة خير أيام الأسبوع

ورد أن يوم الجمعة «خير أيام الأسبوع»، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلاّ في يوم الجمعة» رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي.

وعن أبي لبابة البدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سيد الأيام يوم الجمعة، وأعظمها عند الله تعالى، وأعظم عند الله تعالي من يوم الفطر ويوم الأضحى، وفيه خمس خلال: خلق الله عز وجل فيه آدم عليه السلام، وأهبط الله تعالى فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله تعالى آدم، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلاّ أتاه الله تعالى إياه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلاّ هن يشفقن من يوم الجمعة». رواه أحمد وابن ماجه، قال العراقي: إسناده حسن.

يجيب عليها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز:

■ تقدم إلينا شاب يريد الزواج بأختي، وبعد السؤال عنه تبين أنه لا يصلي مع الجماعة، وحصل خلاف بيننا، هل نزوجه أو لا؟ قال أخي نزوجه فلعل الله يهديه ولكن أبي رفض.. أريد أن أعرف حكم الشرع في ذلك؟

□ **الجواب: من عرف بترك الصلاة في الجماعة ينبغي ألاّ يزوج لأن ترك الصلاة في الجماعة معصية ظاهرة، ومن صفات أهل النفاق، ومن وسائل تركها بالكلية وتركها كفر أكبر، قال الله تعالى ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالي...﴾، وقال صلى الله عليه وسلم «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً»، متفق على صحته.**

وقال ابن مسعود رضي الله عنه لقد رأيتنا وما يتخلف عنها ـ يعني الصلاة في الجماعة ـ إلاّ منافق معلوم النفاق، خرجه مسلم في صحيحه.

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» خرجه الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح، وقال صلى الله عليه وسلم «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة»، خرّجه الإمام مسلم في صحيحه، ولا شك أن ترك أداء الصلاة في الجماعة من وسائل تركها بالكلية كما تقدم. نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق.

■ مشكلتي كبيرة وهي عدم الخشوع في الصلاة فمنذ أن أكبر تكبيرة الإحرام يذكرني الشيطان بهذا وذاك من أمور الدنيا ولا أذكر أنني في صلاة حتى أسلم، هذه المشكلة منذ مدة طويلة وأنا أعاني منها فهل يقبل الله صلاتي؟ وماذا تنصحونني أن أفعل من دعاء أو غيره حتى تحل مشكلتي، والله يحفظكم ويرعاكم.

□ **الجواب: نوصيك بتقوى الله أينما كنت، وأن تستحضر إذا قمت إلى الصلاة أنك تقف بين يدي الله سبحانه، وأنه أكبر، من كل كبير وأعظم من كل عظيم، وأنك بمرأى منه ومسمع، فعليك أن تجاهد نفسك في إحضار قلبك بين يديه والإقبال على صلاتك والخشوع فيها تأسياً بالمؤمنين الذين مدحهم الله سبحانه بقوله عز وجل ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾، وحرصاً على كمال صلاتك وقبولها وعليك أن تستعيذ بالله من الشيطان عند كثرة الوسواس ولو في الصلاة ويشرع لك أن تنفث عن يسارك ثلاث مرات مستعيذاً بالله من الشيطان الرجيم. وعليك أن تسأل ربك أن يعينك على الخشوع في الصلاة في داخل الصلاة وخارجها عملاً بقوله سبحانه ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ ومتى اجتهدت في ذلك وصدقت في دعائك ربك وفي الإقبال على صلاتك أجاب الله دعوتك ويسر أمرك وأعاذك من عدوك الشيطان.**

وصلاتك صحيحة وليس عليك إعادة لكنها ناقصة على حسب كثرة الوساوس، وكلما زادت الوساوس ازداد النقص وليس لك من صلاتك إلاّ ما عقلت منها وخشعت فيه لربك.. وفقنا الله وإياك لما يرضيه.

ويجيب فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين على هذين السؤالين:

■ متى فرضت الصلاة بأركانها وواجباتها أي على هيئتها الحالية؟ جزاكم الله خيراً.

□ **الجواب: فرضت الصلاة في ليلة المعراج حين عرج النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات، وفرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر، فصارت الظُهر أربعاً، والعصر أربعاً، والعشاء أربعاً، وبقيت الفجر على ركعتين لأنه يطول فيها القراءة، وبقيت المغرب على ثلاث لأنها وتر النهار.**

والظاهر أنها شرعت علي هذا الوجه من قيام وركوع وسجود وقعود لأن حديث عائشة لم تذكر فيه إلاّ التغيير في عدد الركعات فقط، فعلم بذلك أن ما سواه لم يتغير.

■ أنا رجل عليّ ديون لأشخاص منذ فترة طويلة تجاوزت ٢٥ عاماً، حيث كنت أشتري من بعض المحلات التجارية عندنا في القرية ولا أعطيهم الثمن وقد كنت صغيراً في ذلك الوقت، والآن لا أعرف كم لهم عليّ ولكنني أعرف أنني مدين لهم، وكنت في بعض المرات آخذ دون علمهم بعض المعروضات مثل الدخان والحلوى، فهل يجوز أن أقدر تلك المبالغ وأتبرع لهم بها في عمل الخير؟ أرجوكم الإفادة، فأنا نادم الآن على ما سلف، جزاكم الله خيراً.

□ **الجواب: إذا كنت تعرف هؤلاء الأشخاص فإنه يجب عليك أن تتصل بهم، وتشرح لهم الواقع، وتقول لهم إني مدين لكم بكذا وكذا، مما اشتريت منهم ولم تعرفه، ومما سرقته منهم، ولا حرج على الإنسان أن يقول إني مدين بكذا وكذا دون أن تقول أنك سرقت، ثم بإمكانك الاتفاق معهم وتقول لهم أنا لا أعرف مقدار هذا الدين ولكن بساط المصالحة مفروش فلنتصالح على ما فيه براءة الذمة، وأداء الحق.**

أما إن كنت لا تعرفهم فليس لك طريق إلاّ أن تتصدق عنهم فتتحرى ما وجب عليك وتتصدق به، ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها.□